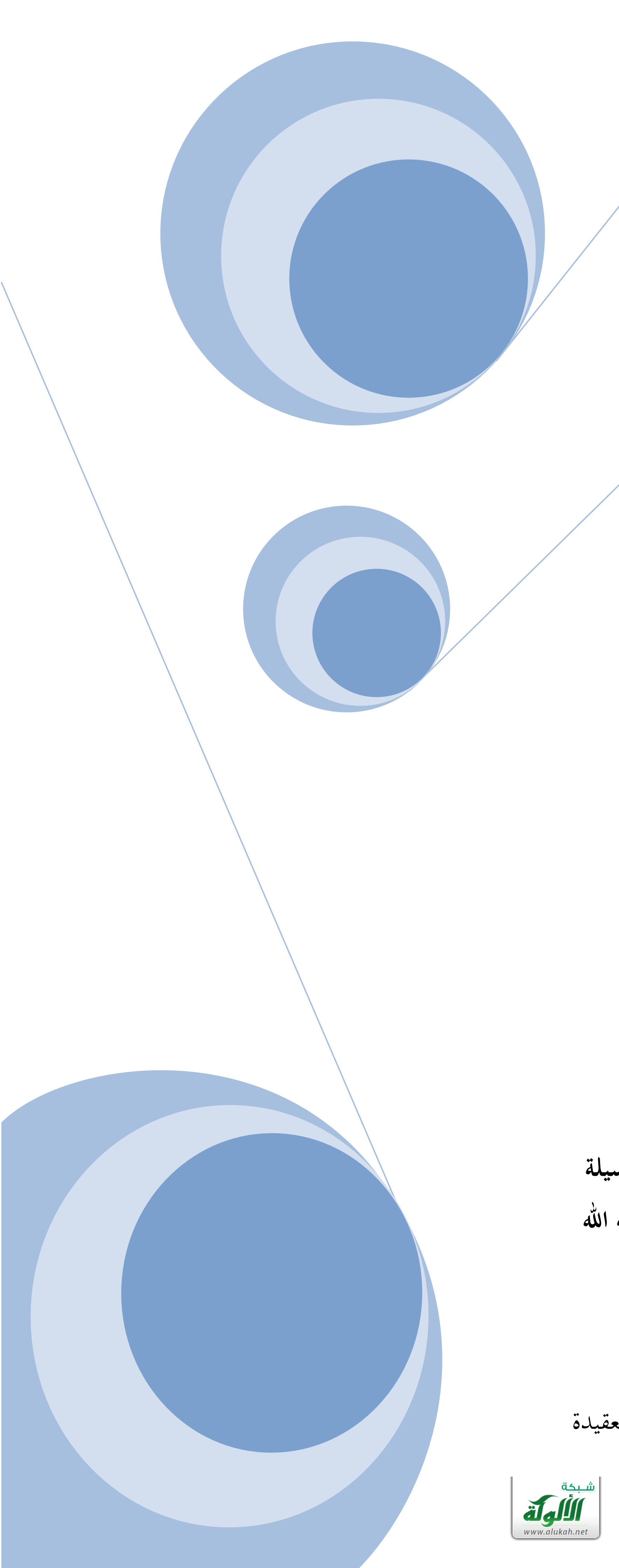


الفوائد الجميلة

في تلخيص كتاب

قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة

لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

تلخيص

إبراهيم محمد صديق

٠٥٥٣٣٧٦٦٣٢

الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة

والأديان والفرق والمذاهب

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهدا أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

كان الناس قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم في جاهلية مظلمة، يعبدون ما يصنعونه من تماثيل وأوثان، حتى أرسل الله إلى البشرية رسوله محمدا عليه الصلاة السلام يتلوا على الناس آيات الله ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، فأنار الله به البصائر وهدى به القلوب ورسم للبشرية جمعاء طريق السعادة في الدنيا والآخرة، وماقُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقد بلّغ ما أرسله الله به وترك أمته على المحجة البيضاء لايزيغ عنها إلاهالك، ثم أمضى الله وعده الذي قال فيه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾[الحِجر:٩] بأن يسر القرآن للذكر وألهم صحابة رسول الله على جمعه، ثم أقام لهذا الدين علماء أجلاء يفقهون حدوده ويعرفون مقاصده ويحفظون أحكامه فبينوا هذا الدين للناس ونقلوه صافيا لايشوبه شيء، ولما بعد العهد وظهرت البدع كان هؤلاء العلماء يجاهدون بأقلامهم يذودون عن هذا الدين ويدرؤون عنه كل بدعة ويوضحون كل شبهة، وهكذا في كل زمان ومكان، ورغم أن السنة الإلهية ماضية في أن الصراع بين الحق والباطل قائم وأن إبليس ماض في قسمه إذ قال ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾[ص:٨٢] إلا أننا نؤمن أن النصر للإسلام وأن هذا الصراع لابد منه ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ﴿٣٧﴾﴾[الأنفال:٣٧]، وإنه مما ينبغي أن نعلمه أن أجلّ صراع وأعظمه هو صراع العقائد، وأعظم عمل لإبليس لعنه الله هو أن يفسد على الناس دينهم، وأي فساد أعظم من الشرك؟! ولأجل هذا وقف العلماء الربانيون يبينون للناس الدين الحق ويردون كل بدعة ويوضحون كل شبهة فوصلنا



الإسلام نقيا خالصا فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

ومن هؤلاء العلماء الربانيين الذين ذادوا عن الدين وحموا أسواره وسهر عند ثغوره شيخ الإسلام: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، فكتب كتبا نافعة أقل فيها لمذهب السلف ورد على أهل البدع ومن أهم كتبه تلك هذا الكتاب الذي بين أيدينا والذي يتناول فيه مسألة مهمة من مسائل الدين ومما يؤكد أهميتها شيوعها بين الناس حتى يومنا الحاضر فهي مما يعم به البلوى وقد ضل في الباب أناس كثيرون وزلقت فيه أقدام،خاصة وأنها مما تشتبه على العوام من الناس وقد يلبس عليهم رؤساؤهم وعلماؤهم بماليس من دين الله لكن يتبعونهم لجهلهم فبين ابن تيمية رحمه الله مسألة التوسل والوسيلة بيانا شافيا ذكر فيه معانيه الحقه وعانيه الباطلة وذكر أدلة القوم وشبهاتهم ورد عليها وأصل لمسأل الشفاعة الحقة والتوسل الصحيح، ولما كان كتابه نافعا في بابه رأت الجمعية العلمة السعودية لعلوم العقيدة والأديان الفرق والمذاهب أن تطلب اختصاره طمعا في طرحه مختصرا لمن يريد معرفة المسألة دون خوض في تفاصيلها ورغبة في إيصال هذه المسألة بشكل واضح ومختصر لعموم الناس، فجزى الله القائمين على الجمعية خير الجزاء.

منهجي في البحث:

١/ قسمت البحث إلى فصول ومباحث حتى يسهل الرجوع إلى أصول المسائل.

٢/ رتبت بعض مسائل الكتاب، فإن الشيخ يعرف باستطراده وبثه العلم في مواضع كثيرة وقد ضممت المسألة إلى مثيلاتها حتى يسهل فهمها، فكنت آخذ بعض الصفحات من خر الكتاب متعلقة بأوله وأضعه مع الصفحات الأولى وهكذا.

٣/ كتبت الآيات بالخط العثماني مع العزو إلى السورة ورقم الآية.

٤/ خرجت الأحاديث من مظانها.

٥/ فهرست للكتاب.

٦/ كتبته بقواعد الإملاء الحديثة.

أسأل الله أن ينفع بأصل الكتاب ومختصره وأن يوفق كاتبه وقارئه.

مقدمة الكتاب





بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أما بعد:

فإن الدين ماشرّعه الله ورسوله، والحلال ما أحلاه والحرام ماحرماه، وقد أرسل الله نبيه إلى الثقلين فوجب الإيمان به واتباعه، وهو ابتغاء الوسيلة المذكور في قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[المائدة:٣٥] وهذا التوسل بالإيمان به وطاعته واجب على كل أحد.

شفاعة النبي ودعاؤه:

محمد عليه السلام أعظم الأنبياء عند الله وشفاعته ودعاؤه ينتفع بهما من شفع له الرسول عليه الصلاة والسلام ودعا لهن وقد كان التوسل في عرف الصحابة رضوان الله عليهم هو التوسل بدعاء النبي وشفاعته وهي تنقسم إلى قسمين:

١/ الشفاعة للمؤمنين: فشفاعته ودعاؤه للمؤمنين نافعة في الدنيا والآخرة، وهي تنقسم إلى:

أ/ شفاعته للمؤمنين يوم القيامة بزيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم وهذه متفق عليها.

ب/ شفاعته لأهل الذنوب من أمته وهذه متفق عليها بين الصحابة والأئمة الأربعة وغيرهم، وخالف فيها الخوارج والمعتزلة والزيدية، فالناس عندهم قسمان: دخلوا الجنة فلن يخرجوا منها ودخلوا النار فلن يخرجوا منها ودليلهم على ذلك قوله تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤٨﴾[البقرة:٤٨] والجواب من وجهين ١/ إن الآيات في المشركين. ٢/ إن الشفاعة المنفية هي الشفاعة الباطلة كظن المشركين أن لأحد أن يشفع عند الله بغير إذنه، فكانوا يعبدون الملائكة والصالحين رجاء هذه الشفاعة وقد أبطلها الله في القرآن في آيات كثيرة منها ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[البقرة:٢٥٥] فالراجح أن أهل الذنوب لهم شفاعة تواترت الأحاديث عن النبي عليه الصلاة والسلام فيها في قوم يخرجهم الله من النار بعد





أن يعذبهم.

٢/ الشفاعة للكفار: أما الشفاعة للكفار بالنجاة من النار بعد أن ماتوا على الكفر فهذه لا تنفعهم ولو كان الشفيع أعظم الناس جاها كمحمد عليه السلام، فقد ثبت عنه أنه قال في حديث رواه أبو هريرة (استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي)[1] كما أراد عليه السلام أن يستغفر لأبي طالب فأنزل الله ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾[التوبة:١١٣]

ومثل إبراهيم عليه السلام حين استغفر لأبيه فنهي عن ذلك ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ١١٤﴾[التوبة:١١٤]

أما في غير النجاة من النار فتنفعهم الشفاعة بإذن الله حسب كفرهم ودرجاتهم في الكفر ومما ثبت في ذلك:

١/ تخفيف العذاب، كما ثبت لأبي طالب من أجل نصرته للنبي عليه السلام، فعن العباس بن عبد المطلب أنه قال: قلت يارسول الله: هل نفعت أبا طالب بشيء؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك. قال: (نعم، هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)[2].

٢/عدم تعجيل العذاب في الدنيا، كما حكى النبي عليه السلام عن نبي من الأنبياء ضربه قومه وهو يقول: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لايعلمون) وروي أنه دعا بذلك: (اللهم اغفر لهم فلا تعجل عليهم العذاب في الدنيا) وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ﴾[فاطر:٤٥]

٣/ الهداية في الدنيا، كما دعا النبي عليه السلام لأم أبي هريرة رضي الله عنه حتى هداها

---

[1]/ أخرجه مسلم في باب استئذان النبي عليه السلام ربه عزوجل في زيارة قبر أمه حديث رقم (٩٧٦).

[2] / أخرجه البخاري في باب كنية المشرك حديث رقم (٦٢٠٨) ومسلم في باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم حديث رقم (٢٠٩).





الله.

٤/ المنافع الدنيوية تأليفا للقلوب، كما روي أنه عليه السلام استسقى لبعض المشركين لما طلبوا منه أن يستسقي لهم فاستسقى لهم.

الفصل الأول: المعاني الصــــحيحة للتوســـل

المبحث الأول: المراد بالتوسل وحكمه.

يجب على المرء أن لا يرد أي مسألة جملة وتفصيلا فقد يكون فيها بعض الحق، والمسلم مأمور بقبول الحق أينما كان، والكثير من المسائل تحمل في جانبها معنى حقا فلا يجوز ردها، ومن ذلك لفظ التوسل فإنه يأتي على ثلاثة معان منها معنيان صحيحان نبينهما في هذا الفصل ثم يأتي بيان المعنى الثالث الباطل في فصل مستقل، أما المعنيان الصحيحان فهما:

١/ التوسل بالإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وطاعته. وحكمه: أنه أصل الدين فمن أنكره فقد كفر لأن هذا من المعلوم من الدين بالضرورة.

٢/ التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا ينقسم إلى قسمين:

أ/ دعاؤه وشفاعته في الدنيا. وحكمه أن منكره كافر إلا الجاهل فإنه يعرف فإن أصر على إنكاره كفر.

ب/ شفاعته في الآخرة. حكمه عند أهل السنة والجماعة وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين: أن له شفاعات يوم القيامة، ولا يشفع عليه السلام إلا لمن يأذن الله له أن يشفع فيه، أما الشفاعة في أن ينجو من النار فهذا ليس إلا للموحدين، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلت يارسول الله أي الناس أسعد بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه)[١].

وعنه في صحيح مسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لكل نبي دعوة

---

١ / أخرجه البخاري في باب صفة الجنة والنار حديث رقم (٦٥٧٠).



مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا).[1]

المبحث الثاني: مكانة التوحيد.

التوحيد هو أصل الدين الذي لايقبل الله من أحد غيره وبه أرسل الرسل وأنزل الكتب ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[الأنبياء:٢٥] وكل رسول قد افتتح دعوته بقوله ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[المؤمنون:٢٣] وهذا التوحيد هو إفراد الله بالعبادة لا مجرد الاعتراف بربوبيته، فالمشركون الذين قاتلهم النبي عليه السلام كانوا يقرون بذلك ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾[العنكبوت:٦١] وكانوا يعترفون أن الآلهة التي يعبدونها مخلوقة مثلهم لكنهم اتخذوها شفعاء ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[يونس:١٨] فتبين من هذا أن التوحيد وإفراد الله بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته هو رأس مال الإنسان وبفقده لا يكون مسلما ولا يكون دينه مقبولا عند الله.

المبحث الثالث: بيان أصل ضلال المشركين.

وهذا المبحث تحته مطالب:

المطلب الأول: عبادة الجن والشياطين أصل شرك المشركين.

المشركون الذين وصفهم الله ورسوله بالشرك صنفان:

١/ قوم نوح وكان شركهم في عبادة التماثيل التي صنعوها.

٢/ قوم إبراهيم وكان شركهم في عبادة الكواكب.

وكل من الصنفين إنما يعبدون الجن والشياطين؛ لكنهم قد يتوهمون أنهم يعبدون الملائكة

---

[1] / أخرجه مسلم في باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته، حديث رقم (٣٣٨).

وذلك لأن الملائكة لا يمكن أن يعينوا على الشرك ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾[سبأ] لكن الشياطين تعينهم على الشرك وتتصور لهم في صور الآدميين ويرونهم، وقد يتمثلون بصور الأنبياء أو الصالحين فيظنه هو أو قرينه أو روحه، وقد يقولون نحن نستشفع بهم ونصور تماثيلهم لا لمخاطبتها ولكن لتذكر أصحابها، ويتأولون في ذلك قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[النساء:٦٤] فيقولون طلبنا هو من جنس طلب الصحابة الاستغفار من النبي عليه السلام، وهذا خلاف إجماع الصحابة والمسلمين ،فإن أحدا منهم لم يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته أن يشفع له ولم يسألوه شيئا فإن هذا من الشرك ودعاء الأنبيا والملائكة ليس واجبا ولا مستحبا ولا مشروعا.

شبهة: يذكر بعض المشركين أن مثل هذه الصور من الشرك من دعاء الأموات وغيرهم قد ينتفعون به دنيويا ويقع ما يدعونهم به، وجوابهم من وجهين:

١/ الاحتجاج بالنص والإجماع. ٢/ القياس.

أما الاحتجاج بالنص والإجماع فيقال: علم بالتواتر وإجماع السلف أن هذا ليس واجبا ولا مستحبا فلم يشرعه النبي عليه السلام ولا أحد من الأنبياء ولا فعل ذلك أحد من الصحابة أو التابعين لهم بإحسان، وكان أصحابه يبتلون بأنواع البلاء ولم يعرف عن أحد منهم أنه يأتي إلى قبر النبي عليه الصلاة والسلام أو غيره فيشكو أو يطلب. فعلم من هذا أن هذا من البدع السيئة وهي ضلالة باتفاق المسلمين فمن تقرب إلى الله بما ليس بواجب ولا مستحب كان ضالا متبعا للشيطان، بل مع كون هذا ليس مشروعا ولا واجبا ولا مستحبا فقد نهى عنه النبي عليه الصلاة والسلام وحرمه وحرم ما يفضي إليه، ومن ذلك تحريم اتخاذ قبور الأنبياء مساجد: ففي صحيح مسلم عن جندب بن عبدالله أن النبي عليه السلام قال قبل أن يموت بخمس: (إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا



فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك)[1]، فإن كان نهى عن اتخاذها مساجد والصلاة عندها لئلا يفضي إلى دعائهم أو السجود لهم عرف أن دعاؤهم أشد تحريما.

وأما القياس فبيان ذلك بأن في دعاء الغائبين وسؤالهم فيه من المفاسد أكثر مما يظن أنها مصلحة، فإن الفعل إن كان يفضي إلى مفسدة وليس فيه مصلحة راجحة ينهى عنه، وهذا مثل نهي النبي عليه السلام عن الصلاة في الأوقات الثلاث المنهي عن الصلاة فيها، وذلك لوجود المفسدة الراجحة وهي التشبه بالمشركين وذلك ذريعة للشرك وليست له مصلحة راجحة فمنعت، فإن كانت الصلاة في هذا الأوقات ممنوعة لئلا يؤدي إلى السجود للشمس والقمر كان السجود لهما أشد تحريما وهذا مثل ما سبق من تحريم بناء المساجد على القبور فدعاؤهم أشد تحريما.

المطلب الثاني: زيارة القبور.

إن علم تحريم دعاء المقبورين والغائبين من الأنبياء والصالحين وجب التنبيه على زيارة القبور عموما فيقال: زيارة القبور تنقسم إلى قسمين:

١/ زيارة شرعية: وهذه الزيارة تنقسم إلى قسمين من جهة مقصدها:

أ/ إن كان القصد الدعاء للمقبور جاز ذلك إن كان المقبور مسلما، وأما الكافر فلايجوز القيام على قبره ولا زيارته ولا الدعاء له والصلاة عليه، قال تعالى ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾[التوبة:٨٤]

ب/ أن يكون المقصود هو الاتعاظ وأخذ العبرة فهذا جائز حتى لقبور المشركين كما ثبت عن النبي عليه السلام أنه زار قبر أمه.

٢/ زيارة بدعية: وهي التي يقصد منها دعاء الميت وطلب الحوائج منه أو يقصد الدعاء عند قبره لاعتقاده أن ذلك أرجى للإجابة، فهذا لم يشرعها النبي عليه السلام ولم يفعلها

---

[1] / أخرجه مسلم في باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد حديث (٢٣).





الصحابة وهي من جنس الشرك وأسبابه.

المبحث الرابع: وهم ملاقاة المقبورين.

يحصل لبعض الناس عند القبور سماع خطاب شخص ما أو رؤيته يخرج من القبر، وقد يحدثه ويعانقه، وفي هذا وقائع كثيرة، لكن هذا شيطان يتصور بصورة الإنسي. والمؤمن يعرف أنه شيطان بأمور منها:

١/ أن يقرأ آية الكرسي بصدق فإنها لاتضر الصالحين وتضر الشياطين.

٢/ الاستعاذة من الشيطان الرجيم.

٣/ أن يستعيذ بالمعوذة الشرعية وهي المروية في حديث أبي التياح (أعوذ بكلمات الله التامات التي لايجاوزهن بر ولافاجر من شر ماخلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر مايعرج فيها، ومن شر مايخرج من الأرض ومن شر ماينزل فيها، ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق يطرق إلا طارقا يطرق بخير يارحمن)[١].

٤/ أن يدعو ربه ليبين له الحال.

٥/ أن يقول له هل أنت فلان؟ ويقسم عليه الإقسام العظيم.

مسألة: أهل الجاهلية في الحكايات والوقائع التي فيها خروج المقبور أو مخاطبته أحدا قسمان:

١/ يكذب بذلك كله، ومآله أنه إن قال ذلك لأحد ثم رأى شيئا من ذلك أو تواتر عنده كان ذلك من أعظم أسباب الثبات على شركه.

٢/ يعتقد أن ذلك كرامات لأولياء الله، ومآله إما أن يكفر فيعتقد فيمن قد يكون لايصلي وقد يسب الرسول عليه السلام بأنه ولي وإما أن يبقى حائرا أو مترددا أو شاكا.

---

١ / أخرجه أحمد في مسنده في مسند عبدالرحمن بن خنبش حديث رقم (١٥٤٦٠) وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه في باب الرجل يفزع من الشيء حديث رقم (٢٣٦٠١).



أما أولياء الله فهم المؤمنون المتقون وقد تكون لهم كرامات فأكابر الأولياء يستخدمونها للدين أو لحاجة المسلمين والمقتصدون منهم يستعملونها في المباحات، أما من استخدمها للمعاصي فهو ظالم لنفسه.

المبحث الخامس: السؤال.

أما السؤال فهو إما لله وإما للمخلوق، فما كان لله فهو مطلوب ومأمور به ،وقد دعا الأنبياء فهذا إبراهيم عليه السلام يقول ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾[إبراهيم:٣٧] ويقول أيوب ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[الأنبياء:٨٣]

وأما دعاء وسؤال المخلوق فينقسم إلى قسمين:

١/ سؤال الحي الحاضر، وهو جائز في حالات لأنه لا يفضي إلى الشرك؛ لكن ذلك ليس مأمورا به ولا واجبا ولا مستحبا، قال تعالى ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ٥٩﴾[التوبة:٥٩]

فالإيتاء أثبته الله لرسوله وهو مخلوق، أما الحسب فلله وحده، فليس كل شيء يُسأله المخلوق وتركه بالكلية أولى توكلا على الله، ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب) وقال : (هم الذين لايسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون)[١] فمدح هؤلاء بأنهم لا يسترقون أي لايطلبون من أحد أن يرقيهم. ويتضح من هذا أن سؤال المخلوق قد يكون جائزا، وقد ينهى عنه نهي تنزيه أو تحريم كما في الحديث: (إن أحدكم ليسألني المسألة فيخرج بها يتأبطها نارا)[٢]

---

١ / أخرجه البخاري في باب من اكتوى أو كوى غيره حديث رقم (٥٧٠٥) وباب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب حديث رقم (٦٥٤١) وأخرجه مسلم في باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولاعذاب حديث رقم (٣٦٧)

٢ / أخرجه أحمد في مسنده في مسند أبي سعيد الخدري حديث رقم (١١٠٤)

إلا سؤال العلم فإن ذلك مأمور به ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل:٤٣] لأن العلم يجب بذله ومن كتمه بعد أن سئل عنه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة.

٢/ سؤال الميت أو الغائب، فهذا شرك أو ذريعة إلى الشرك، ولا يجوز سؤالهم أو طلب الشفاعة منهم وإن كانوا في الأصل يشفعون كالملائكة الذين يدعون للمؤمنين ويستغفرون لهم وذلك لوجهين:

١/ أن ما أمرهم الله به يفعلونه وإن لم يطلب منهم فلا فائدة من الطلب منهم.

٢/ دعاؤهم وطلب الشفاعة منهم يفضي إلى الشرك.

ولهذ لم يشرعه الله ولارسوله، ودين الإسلام مبني على أصلين: عبادة الله وحده لاشريك له، وعبادته بماشرعه الله من الدين وهذا مما لم يشرعه الله تعالى فليس مشروعا ولا واجبا ولا مستحبا ولامباحا ولم يفعله الصحابة قط ولا التابعون.

مسألة: مفاسد سؤال المخلوق: لسؤال الناس مفاسد وإن كانت المسألة مباحة لذلك كبار الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا يسألون الناس شيئا وقد كان بعضهم يسقط السوط من أحدهم فلا يطلب من أحد أن يناوله إياه، ومن مفاسد ذلك:

١/ الافتقار إلى غير الله وهي نوع من الشرك

٢/ إيذاء المسؤول وهي نوع من ظلم الخلق

٣/ ذل لغير الله وهو ظلم للنفس.

مسألة: سؤال النبي أمته أو أحدهم.

قررنا فيما سبق أن في سؤال المخلوق مفاسد وأنه غير واجب ولا مستحب ولا مأمور به، فكيف يقال في طلب النبي عليه السلام من عمر رضي الله عنه أن يدعو له وطلبه من أمته أن يصلوا عليه وأن يسألوا له الوسيلة؟

الجواب: أن يقال إن ذلك يفعله النبي عليه السلام من باب أمرهم بما ينتفعون به ،كما يأمرهم بالواجبات والمستحبات، فإن أمته تؤجر بالصلاة عليه فطلبه طلب أمر





وترغيب وليس طلب سؤال، فإن كان أحد من الناس يسأل غيره أن يدعو له وقصده أن ينتفع المسؤول فهذا مقتدٍ بالنبي عليه السلام مؤتم به، وهو ليس من السؤال المرجوح، أما إن قصد أن ينتفع السائل فقط فهذا ليس بمقتد بالنبي عليه السلام وهو من السؤال المرجوح الذي تركه أفضل.

الفصل الثاني: معاني التوسل الباطل

تمهيد

وردت الوسيلة في القرآن الكريم ومعناها: التوسل إلى الله باتباع ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي تتناول كل واجب ومستحب، وماليس بواجب ولا مستحب لايدخل في ذلك قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[المائدة:٣٥] وقال ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾[الإسراء:٥٧] كما ورد لفظ الوسلية في السنة وهي خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم وذلك في قوله عليه السلام (سلوا الله لي الوسيلة)[١] فإن سألناها للنبي عليه الصلاة والسلام استحققنا شفاعته لأن الجزاء من جنس العمل.

المبحث الأول: الإقسام والسؤال بذات النبي عليه الصلاة والسلام.

وتحت هذا المبحث مطلبان:

المطلب الأول: المعنى الثالث للتوسل.

سبق وأن بينا أن التوسل يراد به ثلاثة معان منها معنيان حقان وهما: ١/ التوسل بطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام والإيمان به. ٢/ التوسل بدعائه وشفاعته.

أما المعنى الثالث وهو المراد في عرف المتأخرين فهو: ٣/ التوسل بمعنى الإقسام على الله بذات النبي عليه الصلاة والسلام والسؤال بذاته. وهذا النوع لم يفعله الصحابة ويشهد

---

١ / أخرجه مسلم في باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل له الوسيلة حديث رقم (١١).



لذلك قصة الاستسقاء زمن عمر رضي الله عنه، فإن الصحابة قد عدلوا عن التوسل بذات النبي عليه الصلاة والسلام إلى التوسل بالعباس رضي الله عنه مع أنهم كانوا في حياة النبي عليه السلام يتوسلون به فلما عدلوا عن ذلك علم أن ما يفعل في حياته قد تعذر بعد موته.

المطلب الثاني: حكم الحلف بالمخلوقات:

ينقسم الحلف بالمخلوقات إلى قسمين:

١/ الحلف بالمخلوقات عموما ٢/ الحلف بالأنبياء.

فأما الحلف بالمخلوقات عموما غير الأنبياء عليهم السلام فقد اتفق المسلمون على أن من حلف بالمخلوقات كالكعبة والعرش وغيرها من المخلوقات فإن يمينه لاينعقد؛ لكن اختلفوا في حكم هذا الحلف: فقال الجمهور إنه حرام، وهو مذهب أبي حنيفة وأحد القولين في مذهب الشافعي وأحمد وهذا في الإقسام بها، أما السؤال فسيأتي في المبحث القادم، وذهب آخرون إلى أن الحلف بالمخلوقات مكروه كراهة تنزيه. والراجح هو الأول لأن الحلف بغير الله شرك وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: (من حلف بغير الله فقد أشرك).[١]

أما الحلف بالأنبياء عليهم السلام ففيه نزاع مشهور ويجوزه طائفة من المسلمين ونقل في ذلك آثار عن بعض السلف وفيه عن أحمد قولان: ١/ ينعقد يمينه، واختاره القاضي. ٢/ لا ينعقد يمينه وهو الأصح.

المبحث الثاني: الفرق بين الإقسام والسؤال.

يختلف الإقسام عن السؤال بالشيء، وقد سبق بيان أن الحلف والإقسام بالمخلوقات لا يجوز أما السؤال بها فجائز إن كان يقتضي وجود المسؤول، فالباء في صيغة السؤال هو باء السببية، أما الإقسام فهو كقوله عليه الصلاة والسلام: (إن من عباد الله من لو أقسم

---

[١] أخرجه أبو داود في سننه في باب كراهية الحلف بالآباء حديث رقم (٣٢٥١).





على الله لأبره)[1] وأما الإقسام على الغير فهو: أن يحلف المقسم على غيره ليفعلن كذا. فإن حنثه كانت الكفارة على الحالف، وأما السؤال بالشيء كأن يقول: أسألك بالله أن تعطيني فإن معناه أسألك بإيماني بالله، وهو سبب يقتضي إعطاء السائل وهذا جائز، فتبين من هذا أن قول القائل: أسألك بكذ له معنيان:

١/ أن يكون هذا قسما والقسم بالمخلوقات على المخلوق لايجوز فكيف على الله.

٢/ أن تكون الباء سببية وهذا قسمان: أ/ أن يسأل المخلوق كأن يقول : أسألك بالله فهذا جائز. ب/ أن يسأل الله بحق المخلوق ليس من باب الإقسام كأن يقول: أسألك بحق فلان وجاه فلان فهذا فيه نزاع ومنعه أبو حنيفة وهو الراجح، لأن السؤال بحق فلان مبني على أصلين:

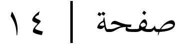
١/ ماله من حق عند الله، وفي هذا من يقول إن للمخلوق حق على الخالق يعلم بالعقل وهناك طرف آخر يقول بل ليس للمخلوق أي حق على الخالق ، وكلاهما خطأ والصواب في الوسط بأن يقال: الله كتب على نفسه أشياء وحقوق للمخلوق كما كتب على نفسه الرحمة وكما أوجب على نفسه حق العباد، كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ: (يا معاذ: أتدري ماحق الله على عباده؟) قال قلت: الله ورسوله أعلم. قال: (حقه عليهم أن لا يعذب من لايشرك به شيئا)[2] فتقرر أن هذا الوجه صحيح وهو أنه قد يكون للمخلوق حق على الله.

٢/ هل يجوز السؤال بهذا الحق؟ هذه المسألة تفصل ويقال فيها: إن السؤال بحق هو سبب في الإجابة جائز، كما ورد من سؤال الله بحق السائرين إليه أو بعمله الصالح، أما السؤال بحق فلان وجاه فلان فلا يجوز؛ لأن جاه هؤلاء عند الله يخصهم هم، وليس سببا لإجابة دعوتنا لانعدام العلاقة بين دعوتنا وبين جاهه، وأصحاب الجاه عند الله ينفعون في حالين

---

[1] / أخرجه البخاري في باب الصلح في الدية حديث رقم (٢٧٠٣) وفي باب قوله (والجروح قصاص) حديث رقم (٤٦١١)

[2] / أخرجه البخاري في باب اسم الفرس والحمار حديث رقم (٢٨٥٦) ومسلم في باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك حديث رقم (٣٠)




فقط:

أ/ أن يتبعهم ويطيعهم فيما أطاعوا فيه الله. ب/ أن يدعو صاحب الجاه لغيره ويستغفر له فهذا الغير سينتفع بهذا الدعاء والاستغفار.

وليس في السؤال بالمخلوق أي حديث مروي من الأحاديث المرفوعة في دواوين المسلمين التي يعتمد عليها كالصحيحين والمسند والمسانيد المعتمدة التي لا تُخَرّج لمن يتعمد الكذب على رسول الله صل الله عليه وسلم، والصحابة لم يعرف بينهم من تعمد الكذب على النبي عليه السلام وكذلك التابعون، بخلاف الشيعة فإن الكذب معروف لديهم، وأما الأحاديث التي تروى في هذا الباب فهي من جنس الأحاديث الغريبة والمنكرة ولا يوجد من أئمة الإسلام من احتج بها ومن هذه الأحاديث:

١/ حديث عبدالملك بن هارون وفيه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (قل اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وبإبراهيم خليلك وبموسى نجيك...الخ) وهذا الحديث ذكره رزين بن معاوية في جامعه وفي مثل هذا أحاديث ضعيفة وموضوعة لايجوز الاعتماد عليها في الشريعة باتفاق المسلميننكما أن عبد الملك بن هارون من المعروفين بالكذب ومتهم بسوء الحفظ.

٢/حديث عبدالرحيم بن زيد بإسناده إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعا وموقوفا عليه: وفيه (أن آدم عليه السلام لما اقترف الخطيئة قال: يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لي...الخ) هذا الحديث رواه الحاكم في مستدركه لكن عبدالرحمن بن زيد ضعيف ضعفه أحمد وأبو زرعة والنسائي وأُنكر على الحاكم تصحيحه.

٣/ حديث ذكره موسى بن عبدالرحمن الصنعاني بإسناده عن ابن عباس مرفوعا: (من سره أن يوعيه الله حفظ القرآن وحفظ أصناف العلم فليكتب هذا الدعاء في إناء نظيف أو في صحف قوارير بعسل وزعفران وماء مطر وليشربه على الريق، وليصم ثلاثة أيام وليكن إفطاره عليه ويدعو في أدبار صلواته: اللهم إني أسألك بأنك مسؤول لم يسأل مثلك ولايسأل، وأسالك بحق محمد نبيك...الخ) وموسى هذا من الكذابين وقد روي الحديث بأسانيد أخر كلها مظلمة لا يثبت بها شيء.

كما أن في الباب آثار عن السلف أكثرها ضعيفة منها: حديث الأربعة الذين اجتمعوا عند الكعبة وسألوا الله، وهم: عبدالله ومصعب ابنا الزبير وعبدالله بن عمر وعبدالملك بن مروان وفيه في دعاء عبدالملك أنه قال: أسألك بما سألك به عبادك المطيعون لأمرك وأسألك بحقك على خلقك وبحق الطائفين حول عرشك..الخ) وهذا فيه إسماعيل بن ابان وهو كذاب وقد خولف بحديث آخر رواه أبو نعيم الطبراني وإسناده خير من الإسناد السابق وليس فيه ذكر السؤال بالمخلوقات.

وقد رويت في الباب بعض المنامات ومثل هذا لايجوز أن يكون دليلا باتفاق العلماء.

أما ما ثبت عن بعض السلف أنه قال (أتوجه إليك بنبيك محمد... يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك) فإن كان قصده الإيمان به وطاعته فلانزاع، وإن قصده السؤال به فهو محل النزاع والله أمرنا أن نرد الأمر إلى الله ورسوله عند النزاع ولا يلتفت إلى اجتهاد أحد عند ورود الدليل.

مسألة: منشأ الضلال عند من قال بحق المخلوق على الخالق بالعقل.

سبق وأن بينا بأن من الناس من يعدي بأن للمخلوق حقا على الخالق يُعلم بالعقل، وسبب خطئهم هو: أنهم ظنوا أنه يجب على الله كما يجب للمخلوق على المخلوق إن أحسن إليه، فظنوا أنهم حين عبدوا الله وجب على الله حق لهم وهذا جهل وظلم لأن بين الخالق والمخلوق فروق عديدة من أهمها:

١/ أن الرب غني بنفسه فيمتنع أن يفتقر إلى عبادتنا له، فنفع عباداتنا راجع إلينا، أما الملوك والسادة فإنهم يحتاجون إلى عبيدهم.

٢/ أن الرب وإن كان يحب الأعمال الصالحة ويفرح بتوبة التائبين فإنه هو من خلق هذه الأعمال والتوبة فحصل له مايحبه بفعله والمخلوق يحصل له مايحبه بفعل غيره.

٣/ أن الله أمر العباد بما يصلحهم ونهاهم عما يفسدهم بخلاف المخلوق الذي يأمر بما يفيده وينهى عن أشياء بخلا عليه.

٤/ أن الله سبحانه هو المنعم بإرسال الرسل وإنزال الكتب وهو المنعم بالحواس فلاحول لنا



ولا قوة إلا به.

٥/أن نعمه أكثر من أن تحصى فلو قدر أن العبادة جزاء لنعمه لما أدى حق جزء يسير فكيف والعبادة من نعمه.

٦/ العباد لايزالون محتاجين ومقصرين ولن يدخل أحد الجنة بعمله.

مسألة: امتناع الظلم عن الله.

في معرض بيان قدرة الله وخلقه للإنسان وعمله، وأنه لا يجب عليه شيء قد يقول قائل: فكيف يخلق الله فعل الإنسان ثم يعذبه ألا يكون هذا ظلما؟، ويقال في الجواب: إن الله قد حرم الظلم على نفسه وهو من الأشياء التي أوجبها الله وحرمها على نفسه، فالظلم عليه محرم بتحريمه إياه على نفسه، وقد اتفق الناس على أن الله لا يظلم لكن اختلفوا في ماهية هذا الظلم الذي لايقع من الله:

١/ فقيل هو الممتنع. فكل ممكن لله لايكون ظلما؛ لأن الظلم هو التصرف في ملك الغير أو مخالفة الأمر الذي يجب عليه طاعته وكلاهما متنعان عن الله سبحانه.

٢/ ماكان ظلما من العباد فهو ظلم من الله.

٣/ الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه.

المبحث الثالث: شبهات وأجوبة تتعلق بمسألة التوسل.

الشبهة الأولى: إن قال قائل: قولنا (نسألك بنبيك) نريد به نسألك بإيماننا بنبيك وبمحبتنا له وبطاعتنا له.

قيل: إن كان هذا هو القصد فلا شك أن هذا جائز ويحمل على هذا كلام من توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته من السلف، وقد نقل عن بعض الصحابة رضي الله عنهم والتابعين كثير من الكلام حول التوسل بالنبي بعد موته وكلمه يحمل على ماذكرت؛ لكن في عرف الناس اليوم إن قيل (أسأل بنبيك) فإنما يريدون به أسألك بحق نبيك وبجاهه وقد تقدم بيان حكم ذلك وأنه لايجوز بالنبي عليه السلام وبغيره.



الشبهة الثانية: قالوا: قال الله تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾[النساء:١] فهل يجوز قول أسألك بحق الرحم؟

يقال في جواب هذ السؤال: نعم يجوز السؤال بحق الرحم؛ لأنه سبق وأن بينا بأن السؤال بما هو سبب في الإجابة جائز والرحم توجب على صاحبها حق لذي الرحم لذلك جاز.

الشبهة الثالثة: قالوا نقل عن مالك رحمه الله أنه يجوّز التوسل بالنبي عليه الصلاة والسلام بمعنى الإقسام به.

والجواب عن هذا: أن هذا باطل وليس في ذلك أي نقل عن الإمام مالك، والمعروف عن مالك أنه كره للداعي أن يقول ياسيدي لله، وكره أن يقول ياحنان يا منان لأنه لم يرد فيه نص فكيف يجوّز أن يسأل الله بمخلوق؟

فإن قيل: قد نقل عن مالك رحمه الله أنه ناظر أبا جعفر أمير المؤمنين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان مما قال له: لاترفع صوتك في هذا المسجد. ثم سأل أبو جعفر مالكا فقال له أستقبل القبلة أدعو؟ أم أستقبل رسول الله؟ فقال مالك: لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله، قال تعالى ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[النساء:٦٤] أ.هـ

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

١/ هذه الحكاية منقطعة فالراوي عن مالك هو محمد بن حميد الرازي وهو لم يدرك مالكا.

٢/ مع أن محمد الرازي لم يدرك مالكا إلا أنه مع هذا ضعيف كذبه أبو زرعة وغيره.

٣/ في الإسناد كذلك من لايعرف حاله.

٤/ قوله: وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة يدل على أنه قصد التوسل يوم القيامة وهو التوسل بشفاعته وهو حق.

٥/ هذه الرواية مناقضة لمذهب مالك، فإنه قد كره أن يطيل الداعي القيام عند القبر فضلا عن أن يأمر باستقباله بل نقل عنه كما نقل عن سائر السلف أن الداعي إذا أراد أن يدعو





لنفسه فإنه يستقبل القبلة ولايستقبل القبر.

المبحث الرابع: زيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام.

قصد قبر النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء عنده والوقوف على قبره لايلزم أحدا من المسلمين على سبيل الوجوب، وقد قال مالك رحمه الله: لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي عليه الصلاة والسلام. مع أنه قد كره له الإطالة في الوقوف أما من لم يرجع من سفر ولم يخرج إلى سفر فقد قال مالك في كثرة التردد على قبر النبي عليه السلام من هؤلاء: لم يبلغني هذا عن أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولايصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وقد نقل عن الصحابة أنهم لم يقصدوا قبر النبي عليه الصلاة والسلام إلا للسلام عليه والدعاء له كما ورد عن نافع قال كان ابن عمر رضي الله عنه يسلم على القبر ورأيته مائة مرة أو أكثر يسلم على القبر وينصرف أي أنه لم يكن يقف على القبر ولا يطيل القيام عنده.

وأحاديث زيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام كلها ضعيفة بل ورد عنه عليه الصلاة والسلام أن سلامنا يبلغه حيث كنا فقد روى أبو داود بطريقه إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لاتتخذوا قبري عيدا ولاتجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني)[1] وروى أبو يعلى الموصلي بسنده إلى الحسن بن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صلوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا ولاتتخذوا بيتي عيدا صلوا علي وسلموا فإن صلاتكم وسلامكم يبلغني).[2]

أما الدعاء عند قبر النبي عليه الصلاة والسلام فإنه لم يذكر عن أصحاب النبي عليه السلام بل لم يكونوا يطيلون الوقوف عند قبره، وأما استقبال القبلة حال الدعاء فهو المعروف عن سائر السلف من الصحابة والتابعين، وقد كانت زيارة الصحابة رضوان الله عليهم لقبر النبي عليه الصلاة والسلام للسلام فقط ،كما روي عن ابن عمر واستقبال

---

١ / أخرجه أبو داود في باب زيارة القبور حديث رقم (٢٠٤٢)

٢ / أخرجه أبو يعلى في مسنده في مسند الحسن بن علي حديث رقم (٦٧٦١).






القبر يكون عند السلام كما في مذهب مالك في إحدى الروايتين وكما عند الشافعي وأحمد أما أصحاب أبو حنيفة فإنهم منعوا من استقبال القبر حتى عند اسلام.

وأما دعاؤه عليه السلام وطلب الحوائج منه فهذا لم يفعله أحد من السلف ولاذكر هذا أحد من الأئمة الأربعة .

وأما السفر إلى المسجد النبوي للصلاة فيها فمستحب، أما السفر إلى قبور الأنبياء فلا يشرع وإن نذر أحد أن يزور قبر نبي لم يكن عليه أن يفي بنذره.

فائدة: يستخدم بعض الناس مصطلحات شرعية وردت على لسان الشرع في معاني غير مرادة من الشارع، فلا يفسرون تلك المصطلحات حسب وضع الشارع وإنما حسب تعريفهم الخاص فيلبّسون على الناس بأن المراد من هذا المصطلح هو مايريده الله ورسوله بينما المراد عند المتكلم هو تعريفه الخاص ومن أمثلة ذلك:

١/ المحدَث: معناه ماكان بعد أن لم يكن؛ لكن الملاحدة المتفلسفة اصطلحوا على أنه المعلول.

٢/ القديم: ومعناه خلاف الحديث مثل قوله تعالى ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ۝٣٩﴾[يس:٣٩] أما عند المتكلمين فإنها عبارة عما لم يزل أو لما لم يسبقه وجود غيره.

٣/ التوسل والشفاعة: فإن الوسيلة التي أمرنا الله أن نبتغيها هي التقرب إلى الله بطاعته ولا طريق إليها إلا باتباع الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لكن جعلها بعض الناس في الإقسام على الله بذات النبي صلى الله على وسلم.

المبحث الرابع: بيان شبهة حديث الأعمى.

ومما يذكر في باب الاستشفاع بالنبي عليه الصلاة والسلام حديث رواه الترمذي والنسائي وفيه أن رجلا أعمى طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره فقال له: (إن شئت صبرت وإن شئت دعوت لك) فقال بل ادعه فأمره أن



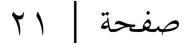
يتوضأ ويصلي ركعتين ويقول: (اللهم إني أسألك بنبيك نبي الرحمة يامحمد يارسول الله إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه ليقضيها اللهم فشفعه في)[1] وفي رواية أخرى عند البيهقي زيادة قوله (وشفعني فيه) وقد استند إلى هذا الحديث أبا أمامة بن سهل بن حنيف فيما رواه البيهقي عنه أنه قال لرجل كان يريد أن يحدث عثمان بن عفان رضي الله عنه ولم يكن يلتفت إليه عثمان فقال له ابن سهل ايت الميضأة فتوضأ ثم ايت المسجد فصل ركعتين ثم قل: (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيقضي لي حاجتي) ثم ذكر أن الرجل فعل فأتى عثمان بن عفان ففتح له الباب واستقبله وقضى حاجته.

وهذا الحديث ليس فيه دليل لهم؛ لأن الأعمى سأل من النبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة فأمره أن يدعو الله بقبول هذه الشفاعة فهو كالشفاعة في الشفاعة فإن قوله: (وشفعني فيه) أي: في دعائه وفي سؤاله فليس في الحديث أي حجة لهم، وقد قيل إن هذا الحديث يبين كرامة من كرامات النبي صلى الله عليه وسلم وعده العلماء من المعجزات .

أما الرواية الأخرى وهي (وشفعني في نفسي) فإنها من طريق تفرد بها شبيب بن سعيد وهو صدوق روى له البخاري لكنه روي له عن روح بن الفرج أحاديث مناكير وهذا الحديث رواه عنه، وقد خالفه الثقات الذين هم أحفظ منه، مع أن قوله: (وشفعني في نفسي) يمكن أن يقال فيه: هو طلب أن يكون شفيعا لنفسه مع دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ولو لم يدع له النبي كان سائلا مجردا كسائر السائلين، كما أن ابن سهل بن حنيف حين استدل بحديث الأعمى لم يأمره بسؤال النبي صلى الله عليه وسلم ولا أن يقول (شفعه في) لأنه لم يكون موجودا ولم يدع له فلا شفاعة، كما أن الدعاء الذي أمر به ابن سهل ليس مأثورا عن النبي عليه الصلاة والسلام ومثل هذا لا تثبت به شريعة، وإن كان هذا اجتهادا من ابن سهل بن حنيف فإنه ينازع فيه والرد في النزاع إلى الله ورسوله.

---

[1] / أخرجه النسائي في سننه في ذكر حديث عثمان بن حنيف حديث رقم (١٠٤١٩)





الفصل الثالث: مجمل الكلام في مسألة التوسل.

ثبت أنه لا يجوز القسم بغير الله ومن حلف بغيره لم ينعقد يمينه حتى وإن حلف بالنبي صلى الله عليه وسلم ولم تجب عليه كفارة عند جمهور العلماء، فإن لم يجز أن يقسم به على مخلوق فكيف على الخالق؟ وقد تقدم أيضا بيان أن السؤال بالمخلوق ومنهم النبي عليه السلام بعد موته لايجوز لأنه لم يشرعه النبي صلى الله عليه وسلم وينبغي أن يعلم أن سؤال الله بسبب يجب أن يكون مناسبا لإجابة الدعاء كما سأل الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار فسألوا الله بأعمالهم الصالحة.

المبحث الأول: الرد على من يجيز الإقسام بالمخلوق.

وأصل هذا الباب أن يقال الإقسام على الله بالمخلوق إما أن يكون مأمورا به إيجابا أو استحبابا أو مباحا أو منهيا عنه نهي تنزيه أو تحريم، فمن أي الأنواع هذا؟ فإن قالوا: مأمور أومباح قيل لهم فهل ببعض المخلوقات أم بكلهم؟ فإن قالوا بل ببعض المخلوقات المعظمة لزمهم أن يجوزوا سؤال الله بالليل والفجر والعصر والتين والزيتون لأنها مخلوقات أقسم الله بها لبيان عظمتها، لكن الإقسام بهذ من البدع المنكرة في الإسلام ولله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته لكن ليس للمخلوق أن يقسم إلا بالله.

فإن قالوا: بل أقسم بعض الأنبياء قيل: منعنا في شريعتنا الناسخة لما قبلها من الحلف بغير الله وقد ذكر غير واحد من العلماء الإجماع على أن الإنسان لا يقسم بالمخلوقات.

شبهة: قال بعضهم: إن اليهود كانوا يقسمون على الله بذات النبي عليه السلام في قوله ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة:٨٩] ويروون في ذلك حديثا عن عبدالملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن سعيد بن جبير قال: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت اليهود فعاذت بهذا الدعاء (اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم) فكاتوا إذا دعوا



بهذا الدعاء هزموا غطفان فلما بعث النبي عليه الصلاة والسلام كفروا به فأنزل الله ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾[البقرة:٨٩]

وجواب هذا أن يقال: أولا: الصحيح أن اليهود كانوا يقولون للمشركين سيوف يبعث النبي الذي نقاتلكم معه فنقتلكم ولم يكونوا يقسمون بذاته كما تدل على ذلك كتب السيرة ودلائل النبوة وكتب التفسير ولم يذكر ابن أبي حاتم وغيره تفسيرا عن السلف إلا هذا المعنى.

ثانيا: هذا الحديث فيه عبدالملك بن هارون وهو أضعف الناس وهو متروك بل كذاب، فلا يوجد أي دليل يجيز الإقسام بالمخلوقين والتوسل بهم ولذلك كان عمر رضي الله عنه والصحابة لم يكونوا يقسمون بذات النبي عليه السلام في حياته وبعد موته وإنما بإيمانهم به وطاعتهم له فكيف يقال في دعاء المخلوقين الغائبين وقد قال الله ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾[الإسراء:٥٦] فهذا من حق الله سبحانه وتعالى فله حقوق كما أن للناس حقوقا ولا ينبغي أن يلحق هذا بهذا وقد فرق الله بينهما تمام التفريق فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾[النور:٥٢] فجعل الطاعة لله ورسوله والخشية والتقوى فلله وكذلك قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾[التوبة:٥٩]

فالإيتاء لله ورسوله أما الحسب فلم يجعل إلا لله وحده فالمخلوقين لا يستحقون ما يستحقه الله ولا يتوسل بهم بذواتهم.

المبحث الثاني: التوسل المشروع .

ذكرنا فيما سبق معاني التوصل الصحيحة أم المشروع من التوسل فينقسم إلى قسمين:

١/ التوسل بالأعمال الأعمال الصالحة وينقسم إلى:

أ/ أن يتوسلون إلى إجابة الدعاء كما فعل أصحاب الغار .

ب/ التوسل بذلك إلى حصول ثواب الله.

٢/ التوسل بدعاء النبي عليه السلام وشفاعته، وينقسم أيضا إلى قسمين:





أ/ أن يطلب منه الدعاء والشفاعة فيدعو ويشفع كما في حديث الأعمى وكما في يوم القيامة .

ب/ أن يكون التوسل مع ذلك بأن يسأل الله بشفاعته دعاءه كما في حديث الأعمى المتقدم فقد سأل النبي عليه الصلاة والسلام أن يدعو له فلما دعا له دعا فقال اللهم إني أسألك وتوجه إليك الله فشفعه في.

هذا ماتيسر إيراده في هذه المسألة أسأل الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وأن يهدينا إلى الصراط المستقيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





فهرس الموضوعات





